جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية/ قسم اللّغة والأدب العربي/ وحدة أدب شعبي مغاربي
السنة الثالثة أدب / أ. ريـــلـــي

المحاضرة ألثانية: الأدب الشّعبي والفولكلور

تمهيد: يعد الفولكلور علما قائما بذاته عرفته معظم دول العالم، وقد اختلف الباحثون في تحديد معناه ومضمونه ومجاله، والحدود التي تفصله عن العلوم المتداخلة معه، ومن ثم تولدت الحاجة لدى الباحثين لضرورة تحديد تعريفه، وكشف ضخامة مادته، رغبة منهم للوصول إلى تعريف دقيق وجامع للفولكلور.

1. تعريف مصطلح الفولكلور:

يتألف مصطلح **Folklore** من مقطعين هما: **Folk** بمعنى النّاس و**lore** بمعنى معرفة أو حكمة، فالفولكلور إذن يعني حكمة الشعب أو معارف الشعب، ويعتبر وليم جون ترمز **j.w Thoms** الإنجليزي أوّل من استخدمه في خطاب له نشرته مجلة أثينيوم **The Athenacum** في سنة 1846، وهذا ما يذهب إليه فوزي العنتيل في قوله:« يرتبط اصطلاح الفولكلور**Folklore** من الناحية التاريخية، ومن ناحية ابتداعه بوليم جوت تومز **ThomS j.w** وجمعية الفولكلور الإنجليزية هي التّي أكّدت هذا الاصطلاح عندما تأسست في لندن في سنة 1877 »[1] .

وهناك من يرجح أن يكون المصطلح هو ترجمة للكلمة الألمانية فولكسكندة **Volkskunnde** التي عرفتها الدراسات الألمانية في بداية القرن 19 أي منذ عام 1806.

أمّا الفرنسيون فقد آثروا استخدام مصطلح **Traditions populaires** أي **مأثورات الشعب**، أمّا السويد فقد وظّفت مصطلح **الذواكر الشعبية**، لكن سرعان ما تبنّى الباحثون في

[1]- فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟، دار المعارف، مصر، 1965، ص.15.

أنحاء كثيرة من العالم مصطلح الفولكلور، وقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية من الدول السبّاقة في نشره وإشاعته، ومن ثم أصبح مصطلحا عالميا.

2. تعريفات الفولكلور: اختلف الدّارسون في تحديد مفهوم الفولكلور، ومن أهم هذه التعريفات نذكر ما يلي:

يعرّف قاموس أكسفورد الفولكلور بأنّه« دراسة الاعتقادات والرّوابط والعادات التقليدية الحديثة بين عامة النّاس والاهتمام بهذه الروابط والعادات والاعتقادات بين طبقة الشعب»[2].

وعرّفه معجم الفلكلور بأنّه« ذلك الفرع من فروع المعرفة الإنسانية الذّي يهتم بجمع وتصنيف ودراسة المواد الفولكلورية منهج علمي لتفسير حياة الشعوب وثقافتها عبر العصور »[3].

ويعرّف قاموس الفولكلور الأمريكي أيضاً الفولكلور بأنّه« جميع العقائد الشعبية القديمة والعادات والمأثورات التي استمرت متوارثة بين العناصر الأدنى ثقافة في المجتمعات المتحضرة حتى الوقت الحاضر »[4].

ويرى جوناس باليز **Balys** الفولكلور بأنّه« كل الأشكال المأثورة التي تستخدم الكلمة أداة لها، والتي خلقها النّاس سواء كانوا بدائيين أم متحضرين، بالإضافة إلى المعتقدات الشعبية أو الخزعبلات والعادات والرقصات وفنون التشخيص الشعبية »[5]، فهو يركز إذن في تعريفه للفولكلور على المحتوى أكثر من الشّكل.

أمّا آشر تايلور **Taylor** فإنّه يرى أنّ الفولكلور« يتألف من المواد التي انتقلت من المواد تراثيا من جيل إلى جيل، من غير نسبة موثقة إلى مبتدع أو مؤلف »[6].

---

[2]- نادية الدمرداش، علاء توفيق، مدخل إلى علم الفولكلور(دراسة في الرقص الشعبي)، ط1، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ج.م.ع، 2003، ص 15.

[3]- المرجع نفسه، ص15.

[4]- فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟، ص36.

[5]- أحمد علي مرسي، مقدمة في الفولكلور، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ج.م.ع، 1995، ص46.

[6]- فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟، ص37.

ويعرّف جاستر **Gaster** الفولكلور بقوله:« إنّ الفولكلور هو ذلك الجانب من ثقافة الشعب، الذّي حُفظ شعوريا أو لا شعوريا في العقائد والتقاليد والعادات والتقاليد المرعية الجارية في الأساطير، وقصص الخوارق، والحكايات الشّعبية، والتّي نالت قبولا عاما، وكذلك في الفنون والحرف التّي تعبّر عن مزاج الجماعة، وعبقريتها أكثر مما تعبّر عن الفرد »[7].

ويعرّف باسكوم **Bascom** الفولكلور بأنّه كل ما انتقل بين النّاس بواسطة الكلمة؛ أي **الأدب الشعبي** في قوله:« إنّ اصطلاح الفولكلور قد أصبح في الاستخدام الأنثروبولوجي يعني: الأساطير، وقصص الخوارق، والحكايات الشعبية، والأمثال الشعبية، والألغاز والنظم»[8].

ويعرّف طومسون **Stith Thompson** الفولكلور بأنّه« التراث، إنّه شيء انتقل من شخص إلى آخر وحُفِظ إمّا: عن طريق الذاكرة، أو بالممارسة أكثر ممّا حفظ عن طريق السّجل المدون، ويشمل: الرّقص، والأغاني، والحكايات، وقصص الخوارق، والمأثورات العقائد، والخزعبلات(المعتقدات الخافية) والأقوال السائرة للنّاس في كل مكان.

وهو يشمل كذلك: دراسة العادات، والممارسات الزراعية المأثورة، والممارسات المنزلية، وأنماط الأبنية، وأدوات البيت، والظواهر التقليدية للنظام الاجتماعي »[9]، ومن ثم ربطه بالميادين التالية:

. الرّقص الشّعبي.

. الأغاني الشّعبية.

. قصص الخوارق.

. المعتقدات الخرافية.

. الأقوال الشّعبية السائرة.

---

[7]- فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو؟ ص37.

[8]- المرجع نفسه، ص39.

[9]- المرجع نفسه، ص35.

. العادات والتقاليد.

. الممارسات الزراعية المأثورة.

والفولكلور عند أحمد علي مرسي هو« الفنون والمعتقدات وأنماط السّلوك الجمعية التّي يعبّر بها الشعب عن نفسه، سواء استخدمت الكلمة أم الحركة أم الإشارة أم الإيقاع أم الخط أم اللّون، أم تشكيل المادة، أم آلة بسيطة، وإنّي أعتقد أن هذا التعريف يمكن أن يضم كل الأشكال التّي ذكرها الفولكلوريون باعتبارها مواد فولكلورية ينبغي دراستها، ولعلّ قائمة المواد الفولكلورية المفصلة، والتّي ذكرها آلان دندس Alan Dundes، يمكن أن تُوضح قيمة هذا التعريف. إنّ الفولكلور يتضمن الأساطير والحكايات الشعبية بأنواعها المتعددة والنكات والأمثال والألغاز والترانيم والرقى والتّعاويذ واللّعنات وأساليب التّحية في الاستقبال، والتوديع والصيغ الساخرة، والتلاعب بالألفاظ، وأساليب القسم، كما يتضمن أيضا العادات الشّعبية والرّقص الشعبي، والدّراما الشعبية، وفن التمثيل الإيمائي، والفنون الشعبية، والطّب الشّعبي والمعتقدات الشعبية المأثورة والتشبيهات الشعبية، والاستعارات والكنايات الشعبية، وأسماء الأماكن والكُنى والألقاب، والشعّر الشّعبي، والكتابات التي تكتب على شواهد القبور...إلخ. وتتضمن القائمة أيضا الألعاب والإيماءات والرموز والدعابة، وأصل الكلمات الشعبية، وطرق إعداد الطعام وأشكال التطريز، وأشكال الإبرة، وأنماط البيوت والعمارة الشعبية ونداءات الباعة وهناك أشكال فرعية أخرى مثل حيل تنشيط الذاكرة كاسم Roygb لكي نتذكّر ألوان الطيف وهي الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق، وSwak وتعني ختم بقُبلَة Stamp with a kiss والتعليقات التقليدية التي تقال عقب العطس أو التجشؤ...إلخ، كما أن هناك أشكال رئيسية كالاحتفالات الشّعبية بالمناسبات المختلفة كالأعياد ومناسبات الميلاد والختان والزواج، وغير ذلك »[10].

وهكذا نستنتج اختلاف الباحثين والدّارسين في تعريف الفولكلور وفي تحديد حدوده.

[10]– أحمد علي مرسي، مقدمة في الفولكلور، ص. ص. 82- 83.

1. مراحل نشأة الفولكلور في العالم: لقد مرّ في نشأته بثلاث مراحل أساسية، وهي[11]:

أ. **مرحلة الرّيادة:** وتبدأ من بداية التاريخ حتى القرن التاسع عشر، حيث تعرّض المؤرخون من خلال دراساتهم في الأدب واللّغة والتاريخ الحديث، عن عادات وتقاليد ومعتقدات بعض الشعوب دون قصد في ثنايا كتبهم.

ب. **مرحلة نشوء علم الفولكلور:** كان علماء اللّغة والدّراسات القديمة في طليعة من اهتموا بالفولكلور ومجالاته، ويعتبر الأخوان جريم من بين الباحثين الأوائل الذين قاموا بجمع الأقوال السائدة للشعب الألماني؛ حكاياتهم، خرافاتهم وأساطيرهم، عاداتهم ومعتقداتهم، حفاظا على قوميتهم، وسرعان ما تأثر بهما علماء آخرون من مختلف الدول الأروبية كروسيا وإنجلترا وفرنسا.

ج. **مرحلة الاعتراف به من قبل الجامعات والهيئات الدولية والرسمية:** حظي علم الفولكلور باعتراف من طرف عديد من الجامعات بداية من جامعة هيلسنكي، ثم تلتها جامعات أخرى في السويد وألمانيا، وكندا والولايات المتحدة الأمريكية والنرويج...إلخ، كما نجح علماء الفولكلور سنة 1972 في عقد أول مؤتمر دولي لهم للفنون الشّعبية، تلاه في ما بعد إنشاء اللّجنة الدولية للفنون والتقاليد الشعبية.

وفي أكتوبر عام 1949 طلبت منظمة الثقافة الدولية التابعة للأمم المتحدة من بعض الخبراء والمتخصصين في الفنون الشعبية الاجتماع، قصد البحث عن الوسائل الكفيلة بالمحافظة على الفنون الشعبية من الضياع والاندثار.

3. تاريخ علم الفولكلور في العالم العربي:

[11]– نادية الدمرداش، علاء توفيق، مدخل إلى علم الفولكلور، ص16.

أ. **مرحلة الرّيادة:** وفي هذه المرحلة عمل بعض الأدباء والباحثين المتخصصين في اللّغة والأدب والتاريخ وفن الرحلة، والفلك، والحيوان تضمين أبحاثهم وكتبهم عن غير قصد ببعض عادات الشعوب وتقاليدهم ومعتقداتهم وفنونهم الشعبية، ممّا جعل أغلب الدّارسين يؤكدون بأن« ذخائر العرب وموسوعاتهم الكبيرة تعتبر مرجعاً هاماً لا غِنى عنه لمن يدرسون الفنون الشعبية »[12].

فقد وجد كثير من الباحثين العرب الذين تحسسوا أهمية التراث الشعبي، وعملوا على دراسته والاهتمام به أمثال: صفي الدين الحلي صاحب كتاب(العاطل الحالي)، والذّي خصصه للحديث عن الزجل وأنواعه، ونعوم شقير مؤلف كتاب(أمثال العوام في مصر والسودان والشام)، وحسين راغب صاحب كتاب(حدائق الأمثال العامية)، وابن خلدون الذّي اعترف بالأدب الشعبي وبلاغته.

وكان لرافع الطهطاوي الفضل الكبير في ترجمة عديد من المؤلفات في الثّقافة الشّعبية الفرنسية إلى اللّغة العربية أمثال كتاب دينج بعنوان (دائرة العلوم في أخلاق الأمم وعوائدها) والذّي أعاد طبعه مرة أخرى بعنوان(قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر)، وكل هذه الكتب المذكورة سابقا لم تصدر عن متخصصين في علم الفولكلور، بل كانت على هامش بعض العلوم المعترف بها.

ب. **مرحلة ظهور الجهود العلمية المتعلقة بالفولكلور:**

ظهرت في هذه المرحلة مجموعة من المثقفين والدّارسين الذّين درسوا في مدارس غربية، والذّين كان لهم الفضل في نشوء الاهتمام بالفولكلور، وأشهرهم أحمد تيمور في كتابيه (الأمثال العامية) و(الكتابات العامية)، وأحمد أمين (قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية)، وفي غير مصر نجد عبد الله بن خميس(الأدب الشعبي في جزيرة العرب)، ومحمد العبودي(الأمثال العامية في نجد).

---

[12]– نادية الدمرداش، علاء توفيق، مدخل إلى علم الفولكلور، ص30.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين ظهر عديد من الدّراسات العلمية المتخصصة بعلم الفلكلور ومجالاته أمثال: د. سهير القلماوي(ألف ليلة وليلة)، د. عبد العزيز الأهواني (الزجل في الأندلس)، ود. عبد الحميد يونس(الظاهر بيبرس) و(السيرة الهلالية وسيرة بني هلال)، ود. نفيسة الغمراوي(حركات شعبية قومية)عن الرّقص الشّعبي، وأحمد رشدي صالح(الفنون الشعبية) و(الأدب الشعبي)، د. سعيد الخادم(الصناعات الشعبية في مصر) و(تاريخ الأزياء الشعبية في مصر) و(الرّقص الشّعبي في مصر)، وله العديد من الدرّاسات المنشورة حول الفنون والحرف الشعبية، ود.عبد اللطيف البرغوثي(الأغنية الشعبية في فلسطين والأردن)، وعمر الساريسي(الحكاية الشعبية الفلسطينية)، ود.نمر سرحان(إحياء التراث الشعبي) و(المباني الكنعانية)، ويسري عرنيطة(الفنون الشعبية الفلسطينية)، وغيرهم كثيرون، إلى جانب إصدار مجلة الفنون الشعبية التي قام بنشرها مركز الفنون الشعبية بوزارة الثقافة بمصر.

كما ظهرت في الجزائر أبحاث عديدة في مجال الثقافة الشعبية؛ من بينها الدّراسات التّي قام بها الضباط والباحثون الفرنسيون، والموجهة أساسا لخدمة مصالحهم الاستعمارية في الجزائر أشهرهم جوزيف دسبرميه **Joseph Desparmet** ألفريدبل **Alfred Bel**، روينه باسيط **Henri Basset** .

وبعد الاستقلال ظهرت دراسات عدة والرسائل العلمية الأكاديمية المهمة في مجال الموضوعات الفولكلورية الأمثال: كامي لاكوست دوجاردان**Camille Lacoste Dujardin** (الحكاية الخرافية القبائلية)، د.روزلين ليلى قريش(القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل االعربي)، ود. التلي بن الشيخ(دور الشعر الشعبي في الثورة من 1830- 1954) و(منطلقات التفكير في الأدب الشعبي)، ود.أحمد الطاهر(الشعر الشعبي الجزائري "الملحون" إيقاعه، بحوره، وأشكاله)، ود. أحمد الأمين(الشعر الشعبي الجزائري في سيدي خالد) ود.عبد الحميد بورايو(القصص الشعبي في منطقة بسكرة)، وغيرهم كثيرون.

4. مظاهر الاهتمام بالفولكلور في العالم:

. تدريس مادة علم الفولكور في المعاهد والجامعات، وكانت جامعة هيلسنكي أول من أسرعت إلى تدريسه عام 1888، ثمّ تبعتها جامعات أخرى كجامعة السويد، والدانمارك، وألمانيا، وإيطاليا، وبلجيكا وغيرها من الدول.

. إنشاء مدارس للحفاظ على التراث الشعبي ودراسته؛ كمدرسة الدراسات الأسكتلندية(أنبرة).

. إنشاء المتاحف لحماية مواد التراث الشعبي المختلفة؛ كالمتحف الشعبي الويلزي، والمتحف الشمالي إستوكهلم في السويد.

. إنشاء الجمعيات القومية للفولكور، ونذكر منها الجمعية الفولكلورية الإنجليزية.

. عناية الدول الحديثة العهد بالاستقلال في الحفاظ على تراثها الشعبي.

. رعاية وتطوير الفنون والحرف الشعبية عن طريق فتح مراكز التدريب على الصناعات التقليدية، لحفاظها من الزوال والاندثار.

5. مشكلات الفولكور:

ومن أهم هذه المشكلات التي ظهرت بين المهتمين بالفولكلور، نذكر ما يلي:

. عدم اتفاقهم حول تاريخ نشأة الفولكلور.

. اختلاف وجهات نظرهم في تحديد مفهوم الفولكلور.

اختلاف حول طبيعة مادة الفولكلور ومناهج دراستها.

. تداخل الفولكلور مع العلوم الأخرى، وصعوبة الاستقلال عنها.

اختلاف الباحثين حول المصطلحات المستخدمة فيه وتحديد مفاهيمها.

. المراجع والمصادر:

1. الدمرداش نادية، علاء توفيق، مدخل إلى علم الفولكلور(دراسة في الرقص الشعبي)، ط.1، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ج.م.ع، 2003.

2. العنتيل فوزي، الفولكلور ما هو؟، دار المعارف، مصر، 1965.

3. مرسي علي أحمد، مقدمة في الفولكلور، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ج.م.ع، 1995.